علي

في بروق التفكر

يحيى الراضي

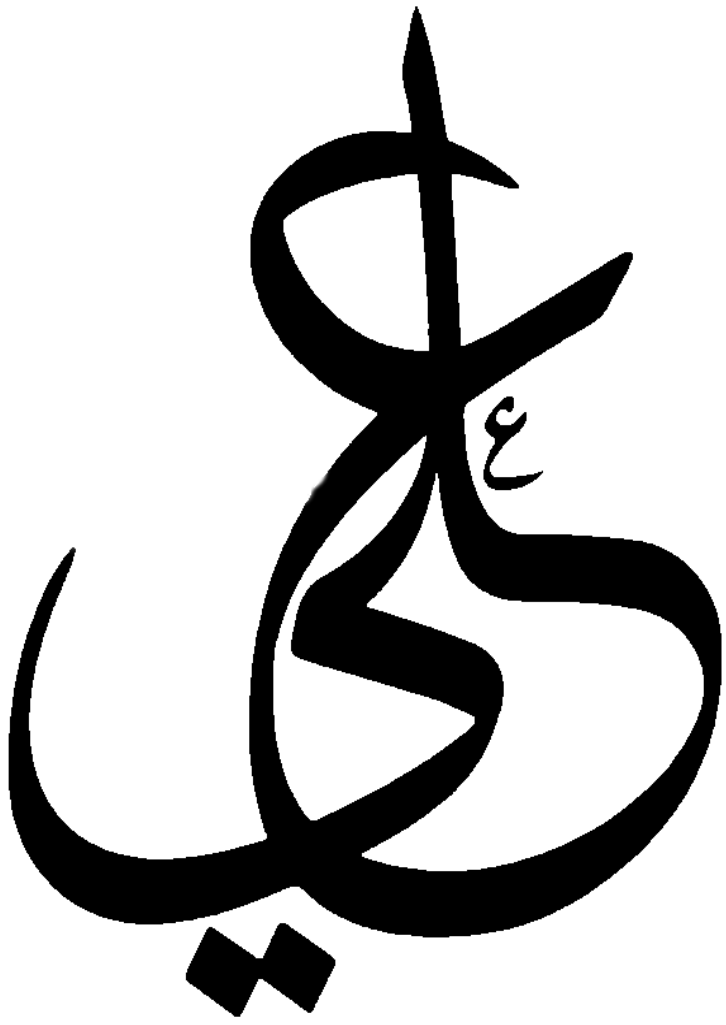

في بروق التفكر

يحيى الراضي

الفَهرسْ

الفَهرسْ
الفَهرسْ
الفَهرسْ

علي محيط البيان	8
علي فوق العادي	9
علي و جمالياته	10
علي عند هؤلاء	11
علي و خلل الكتابة	12
علي في يوم مفتوح	13
علي و النفس المحمدية	14
علي و خبز الشعير	15
علي و قميص الوعظ	16
علي ضد الحاشية	17
علي و المناصب	18
علي دستور إداري	19
علي و التصحيح الإداري	20
علي و وحشة الحق	21
علي بمنظور أحدهم	22
علي يعلمنا الصوم	23
علي و فقه السبّ	24
علي و صحة النهج	25

علي و الفسبكة 26

علي منبرياً 27

علي بين مبناه و معناه 28

علي يقدم الكفاءة لا المحسوبية 29

علي قراءة مباشرة 30

علي و التنفيس 31

علي و حِجر 32

علي و ميثم 33

علي و قنبر 34

علي و بيعة المسجد 35

علي يزين الخلافة 36

علي و غُرر الحِكم 37

علي و السلف 38

علي مؤسس التقويم 39

علي و حصار البحث 40

علي لا يقاد 41

علي برؤية عاطفية 42

علي وحدة إنسانية 43

علي و الشعر 44

علي و أسئلة العصر 45

علي في خطبة البيان 46

علي الإسم 47

علي ، من قتله ؟ 48

علي و مخالفة وصيته بالقاتل 49

علي و من كفّروه 50

علي و تفقّه أم سلمة 51

علي و مصير الخوارج 52

علي و التنجيم 53

علي أستاذ المدارس 54

علي و الوافدات على معاوية [أ] 55

علي و الوافدات على معاوية [ب] 56

علي و الوافدات على معاوية [ج] 57

علي و الوافدات على معاوية [د] 58

علي و الوافدات على معاوية [هـ] 59

علي بمنظور الفقراء 60

علي و نقد الخلافة 61

علي و الشيعة 62

علي و الغلو 63

علي سابق العصر 64

علي و الأيتام 65

علي و السواك الفاطمي 66

علي كيف قتل ؟ 67

علي و التوحيد 68

علي و محرقة الغلاة 69

علي يوصي بالقرآن 70

علي صوت العدالة 71

علي . . . إشعاعات قصيرة 72

علي . . . إشعاعات أقصر 73

علي . . . إشعاعات للتفكر 74

نحس أن الكلمات التي قلناها في علي ﷺ لم تذهب سدى مع أن معظمها لم نحتفظ به فهو بين الشفاهي وبين ما كتب لمجرد الإلقاء و بين ما كان دفاتر مفقودة ، ربما لأن الكلمات عانقت المعنى في عالمها العلوي ، و ربما لأن الكلمات مهما حلقت تحس بالبساطة في حضرته ، ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير ، فكأنما عرفه الوجود لنرى القيم متجسدة و المثل العليا واقعية لكي لا توصف التعاليم باللا ممكن و لكي لا توصف الكمالات بالمتخيّل ، عن علي حاولنا التأليف مراراً ، ثم لا يكتمل التأليف ، من أين نغوص في المحيط ؟ محيطُ حب ، محيطُ نور ، محيط فكر ، محيطٌ صعب ، ربما نستسهل ذات يوم لمس موجةٍ منه ، و مع ذلك لا عذر.

علـــي
فوق العادي

الإمـام عـلي في الوجـدان الإنســاني إشـعار بتعـالي الإنســان فـوق العـادي مـن المطالـب و العـادي من الأفـكار و العـادي من المواقـف ، من ذلـك يتعلـم الانسـان التحـرر مـن العـادي

مطالـب عـلي فـوق العـادي : لأنـه لم يطلـب الدنيـا هو الـذي طلقهـا ثلاثاً بلسـان : «إليكِ عني» فلـم يتخذ ثروة ولم يترك إرث ذهـب يُكتـر بالفؤوس ، كانـت مطالـب علي إعلاء الإنسـان .

أفـكار عـلي فوق العادي : لم يتخنـدق في أي عصبيـة و لم يتحلق حول توثين ذاتي ، أفـكار علي مفتوحة للإنســانية لا تنحصر بزقـاق ، أفكاره فتح الأرض لاسـتقبال نور السماء .

مواقـف عـلي فوق العـادي : لم يطلب النـصر بالجور ، لم يقمـع حرية الفكر بالتسـلط ، لم يكـذب مـن أجـل الربـح ، لم يكفّـر مـن يعـترض عليـه ، كان يطلـب النـصر الأبقى عـبر القيم .

هـل نكون عليـاً ؟ يتفنن المتكلمـون في نفي ذلك ببرهنـة الاصطفاء و العصمـة ، لكـن هـذا لا يسـد بـاب الاقتـداء بجماليـات عـلي ، في نظافة الوجـدان و نورانيـة الفكـر و صـلاح الخلق ، كـن كعلي مع الحـق و الفقراء و القيـم .

جماليـات عـلي تجدهـا في نظافة الوجـدان : حين يعـود من المعارك ليمسـح دمـوع الأيتام .

جماليـات عـلي تجدهـا في نورانية الفكـر : حـين لا يطلب اتباعه بـلا تفكر و لا ضـمير .

جماليـات عـلي تجدهـا في صـلاح الخلـق : حـين لا يغـدر و لا يلـوي عنـق الشريعـة حسـب الأغـراض .

في كل هـذا تسـتطيع أن تقتـدي بعـلي فيكـون حبـك فـوق العاطفـة عندما يتماهـى في جمالياتـه .

علـــي
عند هؤلاء

عـلي عند الشـعراء الأفق الجـمالي لا في اللغـة الفصيحة فحسـب إنما في جاذبيـة الصـورة و المضـمـون و العمـق فنحـن معـه حيال شـلال نظيف عـذب ،، عـلي عند الخطبـاء : (نهج البلاغـة) بلاغة جـودة الكلمة المصيبة لعمـق المعنـى و كبـد التأثـير ، بلاغـة مراعـاة كلامـه لمقتـضى حـال الخلـود ببقـاء صلاحيـة حكمته عـبر العصور. عـلي عند المفكريـن : إشراق الرؤى خـارج طوامـير العصبيات و الأزقة الضيقـة لأنه يتحدث بإنسـانية لا فئوية و هـذا فكر لم يسـتوعبه أتباعـه فضلاً عن الفرقـاء. علي عند الثوار : مشـعل القضيـة حتـى لا تضيع الثـورة عن الأخلاقيـات و الأهداف فيسـطو عليها اللصـوص و الظلاميـون و تسـحق القضيـة بأحذيـة الغوغـاء. عـلي عنـد المحرومـين : مـلاذ الـدفء عنـد مشـهد ثـوب مرقع يسـتحي مـن راقعه و خبـز شـعير يخشـى مـن ليونتـه ثم عنـد كفالـة الأيتـام و رعايـة الفقـراء بل و إدانـة أسـباب الحرمـان دون إحالتهـا إلى القضـاء و القـدر . عـلي عنـد المتنـسـكين : آيـة التراب تتصاعـد إلى السـماء ليطهر التراب مـن القاذورات معانقـاً السـحاب لأن عبادتـه ليسـت عبـوراً أنانيـاً نحـو الخـلاص وإنـما الدعـاء اسـتدعاء لإنقـاذ الأرض ومـن حولهـا ، عـلي عنـد و عنـد و عند ، عـلي الحكمـة ، عـلي الاسـتقامة ،علي الموحـد علي المتفـوق عـلى الألقاب .

فكـرة : ممـا نلاحظ على الكتابـات عن علي سرد المناقـب و الحوادث دون تأمـل في مضامينهـا ، أغلـب الكتابات هكذا ، و بعـض يتأمل لتوظيف خـبر عـن عـلي لآجـل دعـم جانبـه أو تيـاره أو مؤسسـته ثـم لا يتأمل من أجـل أن يصحـح مسـاره أو ينقـد أفـكاره ، و هـذا لا يناسـب مدرسـة علي ، هـذا مـا يجعلنـا حتـى الآن نفتقـر إلى الكتابـة الحيويـة عـن عـلي ، الكتابة الحيويـة عـن عـلي تعنـي إحيـاء العـبرة مـن الحـوادث و إحيـاء القـدوة من المناقـب ، ثـم أن نقصـد مدرسـة للتتلمـذ بموضوعيـة لا لتأييـد الـذات أو تشـجيع التيـار و إضفـاء شرعيـة عـلى مـشروع تجاري ، عـلى طريقـة تعليق أسـماء دينيـة عـلى دكاكين فارغـة مـن أخلاقيات الديـن ، إذن هنـاك أخطاء في الكتابـة عـن علي و عـن التاريـخ عموماً منهـا : السرد الفـارغ من الهدف ـ تجيـير السـيرة مـن أجـل تيـار أو غرض نفعـي ـ تحريـف مضـمون السـيرة بحسـب الأهـواء السياسـية أو الذاتية .

علـــي
في يوم مفتوح

أتمنى أن أجلس يوماً كاملاً لتأليف كتاب مباشر عن علي بالطبع قد يكون هذا الكتاب مرتجلا غير متقن تمتزج فيه الأفكار بالعواطف و الذاتية بالموضوعية ، و مع ذلك حتى لو جاء بمستوى الوسط ربما أشعر أنني قد قبست فيه من نور علي إضاءة ، و لو كان على شكل شجن أو وجهة نظر لأن الكتابة تتجمل به و تدلل سطورها عند هذه الحضرة الحيدرية ، كم هو جميل تدشين يوم مفتوح للتأمل في حكمة علي أعتقد أننا سنخرج بخطط كبيرة لمعالجة الواقع ، من ذلك أن القراءة المباشرة لحكمة علي تكافح التطرف من الذهن و الإرهاب من النفس و الظلامية من الروح ،، قراءة علي بعيداً عن الخلفيات تقرب من الحقيقة ، و قراءته خارج إملاء الشروح المؤدلجة تمنح صفاء الروح ، اليوم المفتوح مع علي هو يوم إنساني يؤسس لجدول مستقبل للإنسان و للجيل القادم ، أتمنى أن يجلس كل منا يوماً للكتابة عن علي و الأهم يوم قراءة علي ثم يوم التفكير مع علي ، حتى يكون إحساس الأمة بخير و عقل الأمة بخير و سلوك الأمة بخير ، و هو الآن ليس بخير .

بداية علاقة علي بالنبي ، قال النبي لفاطمة بنت أسد رضي الله عنها : « اجعلي مهده بقرب فراشي » ، وكان رسول الله ﷺ يلي أكثر تربيته وكان يطهر علياً في وقت غسله ويوجره اللبن عند شربه ويحرك مهده عند نومه ويناغيه في يقظته ويحمله على صدره ، و قال علي عن ذلك : « **وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل** » ، و من هنا يمكن القول : علي نعمة و هبها الخالق للحياة ، علي تجسيد معالم الإسلام ، علي مفخرة الرسالة المحمدية ، من أين نستدل على ذلك ؟ من سيرة علي و حكمته و مناقبه ، لكن الاستدلال الأكبر هو بتلك العلاقة المتحدة بين علي محمد أعمق من المحبة و من علاقة التلميذ بالأستاذ وبالطبع هي أعمق من علاقة القرابة النسبية ، إنها علاقة عبر عنها القرآن في آية المباهلة ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾ أنفسنا : علي نفسك يا محمد . أعمق من كونه «عبداً من عبيدك» و أعمق من « و اصطنعتك لنفسي» و أعمق من « و لتُصنع على عيني» مع أن إثبات حقيقة أنفسنا لا ينفي كل تلك الصناعة المحمدية .

علـــي
و خبز الشعير

- رآه عدي بن حاتم وبين يديه ماء قراح ، وكسيرات من خبز الشعير فقال : لا أرى لك يا أمير المؤمنين أن تظل نهارك صائماً مجاهداً ، وبالليل ساهراً مكابداً ثم يكون هذا فطورك ؟ فقال :

علل النفس بالقليل وإلا ❊ ❊ ❊ طلبت منك فوق ما يكفيها

- عن سعيد بن غفلة دخلتُ على عليّ بن أبي طالب ﷺ فوجدته جالساً، بين يديه صفيحة فيها لبن ، أجدُ ريحَه من شدّة حموضته ، وفي يده رغيف أرى آثار قشار الشعير في وجهه وهو يكسره بيده أحياناً ، فإذا أعيى عليه كسره بركبته وطرحه في اللبن .

- هو ذا علي الذي رقع مدرعته حتى استحى من راقعها .
كان زهده لا يقتصر على ترويض النفس بالتقوى و إنما مواساة للفقراء ثم هو لا ينعش نفسه بهذا التفضل و إنما يمعن في تلقينها و جوب نفي التلذذ «هيْهات أَن يَغلِبني هواي ويقُودني جشَعي إلى تخيُّرِ الأطْعمةِ ولعل بالحِجَازِ أَوْ اليَمامة مَنْ لا طَمَعَ لهُ فِي القُرْصِ وَلا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ»

و عـن أبي اسـحاق قـال: كنـت مـع أبي يـوم الجمعة وأمـير المؤمنين عـلي بـن أبي طالـب يخطـب وهو يـتروح بكمه أي يهف بـه ، فقلت: يـا أبه ، أمـير المؤمنـين يجـد الحر؟ فقـال لي: لا يجد حـراً ولا برداً لكنه غسـل قميصه وهـو رطـب ، ولا لـه غـيره فهو يـتروّح بـه (لينشـف) .

هنـا و عـظ بالسـيرة و يتـم التأثر بـه لأنه لا يصدر على سـبيل الوعـظ و إنما هـو سـجية ، و ربـما لم تكـن تلفت أنظـار الكثيرين مـن حوله لأنهـم ألفوها منـه و صـارت بنظرهـم مـن صفاتـه اللازمـة ، بـل ربـما ضـاق بهـا من يجد أن هـذا التقشـف يحرجـه و أنـه غـير و اجـب ، و أنه سـلوك يـدل على عدم جنـي الهدايـا و الرشـاوى و شراء الذمم ، كـما هي عادة الزعـماء ، لكن هذا الرجـل يفتخر بخسـارة الأتبـاع ، و يتفنن في تنفيرهـم عبر صرامـة النزاهة و حـدة الاسـتقامة ، فهـو يكـوي يد أخيـه الممتدة بطلـب زيادة مـن بيت المال ، و هـو يـردع طمـع الأصحاب في منصـب اعتماداً عـلى الصحبة .

كانـت المواعـظ تخـرج من فم عـلي بحرارة القلـب و دفء الصـدق و طعم الـروح فيتلقاهـا الفقراء باطمئنـان و الأغنياء بخشـوع ، و لا يغيب عنها إلا من أقفـل قلبه عـن الذكرى .

خـرج عـلي يومـاً عـلى أصحابـه ، و هـو راكـب ، فمشـوا خلفـه ، فالتفـت إليهـم فقـال : « ألكم حاجـة؟ قالوا : لا، يـا أمير المؤمنـين ! و لكنا نحـب أن نمـشي معـك ، فقال لهـم: انصرفوا فـإن مشي الماشي مـع الراكب مفسـدة للراكـب و مذلـة للـماشي »

ـ اسـتقبله زعـماء الأنبـار و ترجلـوا و أسـندوا بـين يديـه فقـال ﷺ : « مـا هـذا الـذي صنعتمـوه؟ قالوا: خُلق منـا نعظم بـه امراءنا ، فقـال ﷺ : **و الله مـا ينتفـع بهـذا امراؤكـم ، و إنكم لتشـقون بـه على أنفسـكم ، و تشـقون به في آخرتكـم ، و مـا أخـسر المشـقة وراءها العقـاب ، و ما أربـح الراحة معها الأمـان من النـار** » .

نقـول : يـا أبـا الحسـنين ألا ينفـع الزعماء تحشـد النـاس من حولهـم و خفق النعـل وراءهـم ، ألا يصنـع ذلـك هالة في العيـون و مهابـة في النفوس ؟ ألا تضخم الحـواشي سـمة الكاريزما ؟

أم لعلها تضخ الفرعنة في النفس و تفرّخ الطغاة في المجتمع ؟

الأكابر لم يقولوها لكنها تلوح على لسان حالهم : أن علياً إمام و معصوم فمن يستطيع أن يكون مثله ؟! ، إذن لما يحرصون على بلوغ منصبه و نيل بعض صلاحياته ، لم لا يقولون ما دمنا لا نستطيع أن نكون مثل علي فلنبتعد عن المناصب المماثلة لمنصب علي و نتركها لمن هو أقرب إليه بالأسوة والقدوة ؟ ، إن لم تكن عليا فكن علويا ،، المتربع على عرش أو مكتب و هو لا يقتدي بعلي لن يكون معذوراً بأنه ليس كعلي و لا هو معصوم ، لأن الاقتداء بعلي للمتمَوضع المتنفذ واجب و إلا سيكون كأي نمرود أو متسلق ، و من لا يقدر على كمالات علي هل يجوز له الإهمال و الجشع و التلاعب و الإثرة ؟ من لا يكون كعلي فمن يكون ؟ .

علـــــي

دستور إداري

كثير ممن تسنم المناصب ترنح به الواقع بين البطش بين الضعف بين الجور و بين الرخاوة ، و الناس لا يطلبون حاكماً بنموذج علي لأن النموذج حلم استبعدوه بتصورهم عن المعصوم واستبعده واقع التاريخ الحاشد بالجائرين ، الناس غالباً يطلبون (الدكتاتور العادل) و لو ببعض العدل لا تمامه ، و لو أنهم فكروا في تقويم الحاكم لكان ذلك خيرا له و لهم ، قد يتحول هذا التوجيه إلى مثاليات متخيلة ، لكنها في منطق علي أركان بناء الدولة و قواعد تكوين الحياة ، و على كل من يضع نفسه في منصب إداري قراءة عهد الإمام إلى مالك الأشتر حين ولاه على مصر ، و قد وصف بأنه أطول عهد كتبه و أجمعه للمحاسن .

نتوقف عند الكثير مما نلاحظه في إدارة الشؤون الدينية و الدنيوية و نجد فيها الخلل عندما نقارنها بسيرة علي بما تتميز به من تسامح في الفكر وبساطة في الممارسة ، قد يكون الزمن تغير بظروفه ومتطلباته و لكن المنهج لا يتغير ، و تغيير منهج علي انحراف في الادارة وتحويلها إلى سطو .

الآليات تتغير و الأحكام تتأثر بالموضوعات و الحياة لا تتوقف عن التغير فكل متغير حادث ، لكن قيم العدل المحبة الرحمة النزاهة ، قيم لا تتبدل و هي في أساسها مطلقة لا نسبية ، من هنا تبقى إدارة علي متجددة بكل جديد ، ومن هنا تبقى سيرة علي تربى أصحاب المناصب و النفوذ سواء كانت بعنوان رسمي أم شعبي ديني أم دنيوي، سيرة علي تصحح سلوك القادة .

علـــي
و وحشة الحق

يهزمنا الواقع فنلوذ بصراحة علي ، يؤذينا نفور الناس فنتذكر قوله : « **لا تستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه** » ، علي لم يعمل على جمع الناس حوله بخطاب ما يطلبه الجمهور ، و لم يحشدهم بطريقة المرشحين لكسب أصوات التأييد ، و لم يكن يتعامل بسلوك جباة الغنائم فيكسب رضا أكبر عدد ليزداد الوارد المالي ، علي يعلمنا شجاعة أهل الحق دون مبالاة بالجمهور و المنافع من مال و جاه و لو لم يترك له الحق أي صديق ، و أن المكسب الأكبر مختلف عن ما يطلبه أصحاب المصالح الدنيئة، التي ما هي إلا أهواء و أوهام خارج منهج علي .. منهج الحق الصعب .

كنت أجلس إليه كل فترة حين أجده منفرداً في حضرة السيدة الست زينب عليها السلام وأستفيد من ذكرياته و توجيهاته إنه السيد عبد الزهراء الخطيب مؤلف كتاب (مصادر نهج البلاغة و أسانيده) كان الرجل يتصف بوعي مدرسة علي من اتزان واعتدال ، يوصيني بهدوء الفكر والتواصل مع البلاد محذراً من الإفراط في الغربة ، يوصي بالتأمل في نهج البلاغة كدستور اجتماعي ، و من خلاله ينقد مظاهر الخرافة و الاستخفاف بالعقول ، ثم يؤكد من خلال مشاهداته على ضرورة التوازن بين العاطفة و التعقل ، كان السيد يردد : (أخاف كثيرا أن يوجد على الأرض من يحب الإمام علي أكثر مني) ! ، يرددها كنص مأثور يريد منا حفظه ، نحن أيضاً نخاف ذلك لكن هذا هاجس ذلك السيد المولع بنهج البلاغة .

علي
يعلمنا الصوم

من روائع مروياته حول الصوم لأننا في رمضان :

عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال في ليلة المعراج: « يا ربّ ما أوّل العبادة؟ قال: أوّل العبادة الصمت والصوم، قال: يا ربّ وما ميراث الصوم؟ قال: يورث الحكمة، والحكمة تورث المعرفة، والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح بعسر أو بيسر، و إذا كان العبد في حالة الموت تقوم على رأسه ملائكة بيد كلّ ملك كأس من ماء الكوثر وكأس من الخمر يسقون روحه حتّى تذهب سكرته ومرارته، ويبشّرونه بالبشارة العظمى ويقولون له طبت وطاب مثواك، إنّك تقدم على العزيز الكريم الحبيب القريب، فتطير الروح من أيدي الملائكة، فتصعد إلى الله تعالى في أسرع من طرفة عين، ولا يبقى حجاب ولا ستر بينها وبين الله تعالى، والله عزّ وجلّ إليها مشتاق، وتجلس على عين عند العرش، ثمّ يقال لها: كيف تركت الدنيا؟ فتقول: إلهي وعزّتك وجلالك لا علم لي بالدنيا، أنا منذ خلقتني خائفة منك، فيقول الله: صدقت عبدي كنت بجسدك في الدنيا وروحك معي، فأنت بعيني سرّك وعلانيك، سل أُعطك وتمنّ عليّ فأكرمك، هذه جنّتي مباح فتسيح فيها، وهذا جواري فاسكنه، فتقول الروح: إلهي عرّفتني نفسك فاستغنيت بها عن جميع خلقك.

وعزّتك وجلالك لو كان رضاك في أن أُقطّع إرباً إرباً وأُقتل سبعين قتلة بأشدّ ما يُقتل به الناس لكان رضاك أحبّ إليّ، كيف أعجب بنفسي؟ وأنا ذليل إن لم تكرمني وأنا مغلوب إن لم تنصرني وأنا ضعيف إن لم تقوّني وأنا ميّت إن لم تحيني بذكرك، ولولا سترك لافتضحت أوّل مرّة عصيتك، إلهي كيف لا أطلب رضاك؟ وقد أكملت عقلي حتّى عرفتك، وعرفت الحقّ من الباطل والأمر من النهي والعلم من الجهل والنور من الظلمة، فقال الله عزّ وجلّ: وعزّتي وجلالي لا أحجب بيني وبينك في وقت من الأوقات، كذلك أفعل بأحبّائي » .

نتأمل أحياناً في الاجراءات المقررة عند شتم الرموز من عقوبات حادة قد تصل إلى القتل فنجدها بحاجة إلى إعادة نظر في أصلها وفي مساحة تطبيقها وأن لا تطبق حرفيا ،على الاقل لا بد من تأمل في الفقه و بيان الدليل ، فالتقليد هنا لا يغني عن طلب بيان الدليل و المناقشة في المستند ، لأن المسألة قد تكون قرارات حربية لا يراد بها مجرد الشتم وذلك لأن الإمام نفسه كان يتلقى السباب و الشتم فلا يأمر بالقتل حتى وهو في موقع القوة و إنما يدعو إلى سب بسبب أو عفو عن ذنب ، فقد شتمه رجل فالتفت اليه قائلاً : « **هي صحيفتك املأها بما شئت** » و شتمه آخر فَوَثَبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ ، فَقَالَ عليه السلام : « **رُويداً إِنَّما هُو سَبٌّ بِسَب، أو عَفْوٌ عَنْ ذنب** » . أم أن المسألة تأخذ بعداً آخر من توهين الدين أو الارتداد فما دليل ذلك ؟ هذا يدعو للمراجعة من مصادر فقه علي و آله .

لا يوجد عندنا كتاب صحيح بكل محتوياته إلا القرآن ، نعتقد بذلك لأنه يوافق الأدلة السديدة ، و لو كان هناك كتاب صحيح آخر لكان نهج البلاغة لا البخاري و لا الكافي ، فالنهج أرقى بمعانيه و أعمق بمضامينه و أصدق في أثره من أي كتاب آخر حتى من تلك الكتب التي يتردد عند البعض تثبيتها بالجملة و أنها حوت كل المعارف وهي ليست كذلك و ليست بدرجة عالية من الصحة بحيث تضاهي نهج البلاغة في السند و المتن .قال عنه محمود شكري الآلوسي : (هذا كتاب (نهج البلاغة) قد استودع من خطب الإمام علي بن أبي طالب ما هو قبس من نور الكلام الإلهي، وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي) . و هو استمرار لإطراء مأثور عن أعلام التراث الخبراء مثل سبط بن الجوزي القائل : (كان علي ينطق بكلام قد حف بالعصمة، ويتكلم بميزان الحكمة ، كلام ألقى الله عليه المهابة ، فكل من طرق سمعه راقه فهابه ، وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة ، والطلاوة والفصاحة ، لم تسقط له كلمة ، ولا بارت له حجة، أعجزَ الناطقين ، وحاز قصب السبق في السابقين) ، و المأثور من ذلك كثير كثير .

لا أكتب عن علي لأجل استجلاب القراء ربما بالعكس الكتابة عن علي موجهة إلى الخصوص لا العموم ، لذلك أكتب عن علي في صفحة مغلقة من (الفيس بوك) إنها للخصوص ، الخصوص هنا ليس النخبة المتعلمة بقدر ما هي النخبة الروحية الصافية البعيدة عن العقد المتعصبة (الدوغمائية) ، لأن هناك تخبطات في التحدث عن علي بدأت بتخبطات غلاة المؤلهين له ولم تقف عند تخبطات الغلاة التكفيريين باسمه الذين هاموا بحبه فكرهوا حتى محبيه ، عند الكتابة عن علي هناك هيام بجماله لا يهتم بالجماهيرية بقدر ما يهتم برسم ملامح العشق العلوي و ما يتنزل على الأفئدة من نور و على الشفاه من زلال ، و إذا كان الفيس بوك متولعاً بالومضات القصيرة كما هو حال (تويتر) مع التغريدات فإن كلام الإمام من فواتح الومض و شوارق التغريد منذ صباحات اللغة و بواكير البيان ، هذا من حيث اللفظ ، أما من حيث المعنى فإن كلام الإمام يتسم بالتواصل البشري دون بناء سدود مع الأفق السماوي ، و من يقرأ قصار الحكم أو غرر الحكم سيجد يوميات الإنسان الأكمل و تغريدات الذوق الأجمل ، مما تزدان به الصفحات من حروف و صور و أمثلة .

علـــي
منبرياً

المنبر المحب لعلي لاشك أنه نشر فضائل علي و لا شك أنه كان القناة الأهم في التعريف بالإمام فعليه تربت أجيال و أجيال عبر القرون ، و لكن هذا المنبر نفسه أخذه الهيام في منعطفات عاطفية من الحب و من ردود الفعل على الخصوم و من التنافس على المحبة و من الامتزاج بالصراعات الذاتية ، فهنا ترويج كبير للمحبة دون مراعاة للجوانب العقلانية و الأخلاقية و الحضارية عند علي ، يفقد الخطاب المنبري الاعتدال بين الدنيوي و الديني ، بين العقلاني و الوجداني ، فيغلب على بعض المنابر جانب على حساب آخر بتجزئة الحق و تبعيض الحقيقة ، من هنا تحتدم المضادات الخطابية فهذا يتهم ذاك بالضلال العقيدي بنقص الولاء الغيبي ، و ذاك يتهم هذا بالانحراف الديني بضعف الفهم العقلي ، و عذر الخطاب المنبري أنه أمام محيط يحتاج إلى معدات كبيرة للإبحار في أعماقه ، و يحتاج إلى حكمة مرنة عند تخطئة الآخر ، ويحتاج إلى بلاغة علوية تراعي مقتضى الحال ، لأن الغرض إصلاح المنبر بنهج البلاغة لا التكسير المنبري .

مـن يقـرأ كلام الإمـام يجده إمام الـكلام ليس بمعنـى تقدم كلامه فقـط ، و ليـس فقـط لأنـه وصـف بأنـه (دون كلام الخالـق و فـوق كلام المخلـوق) ـ حسـب الجاحـظ ـ إنـما لأن في ومضاتـه جاذبيـة خاصة تؤدي إلى الأنـس بـكلام الإمـام إلى درجة أن من يأنـس بكلامه يسـتطيع أن يميزه بـين كلام الآخريـن فيـدرك أن كلامه متفوق بالتناسـب اللفظـي و الامتياز المعنـوي ، وهـذا تـذوق يصعب تفسـيره إلا بممارسـة القـراءة الجمالية للفظ و المعنـى ، لكـن مـن دلائـل ذلـك : إنسـانية كلامـه ـ و عـدم اقتصـاره على الغيـب الدينـي رغـم حضـور الغيـب وإنـما فيـه واقعيـة الحيـاة مـن خلال المشـكلة و المعالجة ـ و فيه سـعة الأفـق خارج التمذهـب أو التطييف ـ و فيه تـوازن بـين الهـدم والبنـاء ـ و فيـه توازن بـين تقريـع الانحـراف و الحرص عـلى تقويمـه ، و فيـه تـوازن بـين التضليـل و الترشـيد ، كل هذا مـع ذروة الحكمـة و النغمـة ، كل هـذا يفتقـر إليـه الخطـاب الدينـي المعاصر .

علـــي

يقدم الكفاءة لا المحسوبية

هناك مشكلة كبرى يعاني منها المجتمع المسلم و هي تقديم محسوبيات الروابط و الأنساب على الكفاءة وهذا من أسباب الانحطاط الاداري الاجتماعي ، ربما يبرر البعض هذا المعيار المطفف بأن من نعرف أولى ممن لا نعرف ، لكن هذا تبرير يظلم الكفاءة ويريح الضمير بالتنويم ، هنا علينا استحضار شاهد من الخطاب الحيدري و لا شك أنه متوفر فهل نتذكره أو نبحث عنه ؟ ربما بعد تأمل نجد الشاهد في خطوة لم تكتمل عندما عزل الإمام محمد بن أبي بكر و تولية مالك الأشتر على مصر و كتب إليه: « **و قد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك ، و إني لم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهد ، و لا ازدياداً لك في الجد ، و لو نزعتُ ما تحت يدكَ من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك مؤنة و أعجبُ إليك ولايةً ..** » طبعا لم تكتمل الخطة فقد توفي الاشتر وواصل محمد مهمته حتى مقتله . ما يهمنا هو حرص الإمام على التوظيف بحسب الكفاءة لا القرابة .

أيها الشباب لا تقعوا فيما وقع فيه الجيل السابق من خطأ وهو قراءة الإمام وبقية الأئمة عبر وسائط تأويلية مشوشة وعدم التقرب من خطاب الائمة ، لقد كان الجيل السابق منهكاً و منهمكاً في الشروح المبعدة عن النص الحاجبة عن الأصل ، فتوهم أن كل الأحاديث موجهة للنخب أما عموم المؤمنين فغير معنيين بها ، و كما كانت هناك فئة تنفي الظهور القرآني و تضيق حدود فهمه ، ظهرت فئة تنهى عن قراءة الأحاديث و تعدها مقتصرة على العلماء. دعكم من هذا التشويش ، اقرأوا الإمام مباشرة و لا يهمكم صراخ التهويل بأنكم لا تفهمون الخطاب المباشر ، نعم للتوازن المعرفي و عدم الارتجال خصوصاً في النصوص الفقهية و دقائق المعتقد والمتشابهات ، عليكم مراجعة المختص في آليات الخطاب اللغوية و المعنوية دون أن يحجبكم ذلك عن النبع الأصفى ، اقرأوا نهج البلاغة والصحيفة السجادية ، اقرأوا أخلاقيات تحف العقول و غرر الحكم والسيرة المضيئة .

بشغب خجول بعد بطء أريد هنا تأليف كتيب عن إمامي علي عليه السلام أحس أنه يسمح بذلك ولو أخطأت ليس لدي إلهام و لا اتصال غير عادي مع الإمام ، لكن أصابني تعطش شديد إلى كوثر علي ، ربما هو تنفيس ، ربما هو استنطاق ، ربما هو استنجاد وهو حامي الجار ، ربما و ربما ، لم أضع هنا غاية سوى معالجة إشكال الابتعاد الفكري عن النبع بحجب المسائل و الشجون و الحوادث ، بودي أن لا أكف خلال يومين عن الكتابة دون اهتمام بوجود قارئ ، الكتابة عن علي غاية بحد ذاتها ، فقط هو الخوف أن لا يكون المكتوب لائقا ولا مقبولا ، برجاء أن يكون هنا ما يستحق نظرة ممن أتمنى أن يكون قارئ هذه الصحيفة ، كما في الكوثرية :

سوّدتُ صحيفةَ أعمالي * * * و وكلتُ الأمرَ إلى حيدر

سـأل الإمـام علي عليه السلام حجـر بن عدي : « كيف لي بـك إذا دُعيت الى البراءة منـي، فما عسـاك أن تقول؟ . فأجـاب حجر : والله يا أمـير المؤمنين ، لـو قُطعـت بالسـيف إرْباً إرْبـا ، وأضرمتْ لي النـار ، وألقيتُ فيهـا ، لآثرت ذلـك عـلى البراءة منـك » .

نحـن هنـا أمام اختبار في مدرسـة الفداء بغـض النظر عن العلـم اللدني عند الإمـام و العلـم التجريبـي بمعرفة جوهر حجـر ، فقد كان لا بـد للبيان أن يظهـر للنـاس لثبـات المبـدأ و لتزكيـة حجـر ، ولأن الإمام لم يبـشّر أصحابه بمكسـب دنيـوي ، فهـو يعطـي الفرصـة للغربلـة حتـى يهـرب الجبـان و يتخـاذل المشـكك و يتحـول الطامـع ، وتلـك خـارج الحسـاب السـياسي ، وداخـل النزاهـة الربانيـة ، مثـل حجـر كان ميثـم التـمار وكميـل وقنـبر و عـمار و المقـداد و سـلمان ، ولم يبلـغ مقامهـم بعـض كبـار القوم حتـى أبناء العمومـة و الخؤولـة و الأحفـاد و الأصهار ، لأن القضيـة ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ لا أقربكـم و لا أنفعكم و لا أشـطركم .

مثـل موقـف حجر موقف رواه ميثم بنفسـه : « دعـاني أمير المؤمنين ، وقـال : كيـف أنـت يا ميثـم إذا دعاك دعـي بني أُميـة عبيد الله بـن زياد إلى الـبراءة منّي ؟ فقـال : يـا أمـير المؤمنـين ، أنـا والله لا أبـرأ منـك ، قـال : إذاً والله يقتلـك ويصلبـك ، قلـت : أصبر فـذاك في الله قليل ، فقال : يـا ميثم إذاً تكـون معـي في درجتي » .

ميثـم هـذا كان يتعامـل مـع الإمـام بـما نسـميه (ميانـة) ربما ذهب في شـغل و بقـي الإمـام مكانـه في دكان التـمار ، فربـما تعامل بـدلاً عنه يبيـع التمور و الدبـس ، بمثـل هـذه العلاقـة البـسيطة الصافية كالمـاء يتم الفـداء المطمئن ، وهـذه عفويـة كانـت بمنظور طواويـس الأمة مـن المؤاخذات عـلى علي ، فـيرددون (فيـه دعابـة) وهي بمعيار الأخـلاق من أجل الفضائـل و أجلّها ، فكيـف لا يفديـه ميثـم دون التفكير لحظـة في البراءة منه ، إنه فـداء اندماج العقيـدي بالعاطفـي إلى حـد التماهي .

قنبر الذي ذبحه الحجاج بسبب حبه لإمامه ، لم يتعامل معه الإمام كغلام أو خادم فربما قدمه على نفسه حين يشتري ثوبين فيهبه أغلاهما ، و نحن أيضاً ككل الأجيال نغبط قنبر على شرف خدمته للإمام فهو بذلك صار سيدنا ، وهنا معنى عميق ينسف الطبقية فيكون العلو بالعمل الصالح لا النسب و لا بمقولة (الناس مقامات)، وهذا ما عبر عنه ابن السكيت وهو يعلم أولاد المتوكل حين سأله المتوكل : أولادي أحب إليك أم الحسن والحسين ؟ فأجاب : « **والله لشسع نعل قنبر عندي خير منك ومن ولديك** » ، ذلك هو سيدنا الفقير العظيم قنبر ، المحسود لتلمذته المباشرة في يوميات أفضل استاذ بعد النبي الأكرم ، قنبر الربيب لا الخادم الحر لا المملوك ، الفقير الذي تفوق على الأغنياء بكمال السجايا و جلال الروح ، قنبر سيد السادة لا الخادم .

علـــي
وبيعة المسجد

أصر الإمام على أن تكون بيعته الجماهيرية للخلافة الظاهرية في المسجد كما كانت ولادته في المسجد و كما ستكون شهادته في المسجد ، لكن البيعة المسجدية لم تكن كهنوتية خارج الوجدان الشعبي بل هي الخلافة الأولى التي تمت بما يشبه الديمقراطية أو الشورى المفتوحة - وإن كان لنا رؤية في مبنى الدولة المدنية إسلامياً غير الشورى و غير الديمقراطية و غير الدولة الإسلامية الشائعة وهو مبنى مستفاد من مدرسة الإمام - المهم أن بيعته لم تكن عبر نطاق تنصيب ضيق لأهل الحل و العقد ولم تكن بتنصيب من سلف لخلف و لم تكن بمباحثة بين أقل من عشرة ، البيعة المسجدية منطلق إيمان لم يكن على حساب الاختيار الشعبي ، رغم تأخرهم عن الاختيار النبوي الأول ، و قد صرح الإمام كما عن الطبري بالغرض حين قوله عن البيعة «**إذن فالمسجد ليكون عن رضاً من الناس**» ، المسجد مجمع الرابطة بين طاعة الله و وجدان الناس .

أفضل بيان في تقديري يعلي من ثقافة الأنصار ما أدلى به (صعصعة بن صوحان) أثناء بيعة علي ونصه : (والله يا أمير المؤمنين ، لقد زينتَ الخلافة وما زانتكَ ، ورفعتَها وما رفعتكَ ، ولَهيَ أحوج إليكَ منكَ إليها) . الرجل تكلم متغزلاً محبا بعاطفة جياشة تعبر عن الحس الشعبي بعد انتظار ، حيث بايع الناس غير مستكرهين بل مخيرين ، بيعة لم تكن بالغلبة و إنما بالسلم ، إن من يزين الخلافة لا يأتي بترهيب و من يرفعها لا يأتي بأساليب منحطة و من تحتاجه الخلافة لا بد أن يتصف بالغنى الجمالي الجلالي وليس كما يشاع أنها منصب يضخم من يتقلده ، ولقد كان المتوقع أن تبدأ مرحلة جديدة من الحرية خارج الوعيد ، و لكن النهج الاستبدادي لا يكف عن البغي و العدوان ، لأن الناس المغلوبة على أمرها ممنوعة من حلم التحرر و تكريس مفهوم دولة المشاركة والارادة الشعبية وهذا تمهيد لاستبداد سيطغى لاحقاً بين كل الفرقاء .

(غـرر الحكـم ودرر الكلم) كتاب رائع لاحتوائه على آلاف الحكم لإمـام الحكمـة ، المؤلـف هو أبـو الفتح عبـد الواحد الآمـدي (ت٥٠٥هـ) هـو عـالم شـيعي لم يتجاهـر بمذهبـه كما يبـدو فـكان يندمج بـين الآخرين ، مـا نلاحظـه أن قصـار الحكـم عـن عـلي عليه السلام عـلى نوعـين فيـما يبـدو لنا :

- **الأول** : الحكـم التـي كانـت في أصلهـا ومضـة قصيرة كـما وردت ماثورة تحقيقـاً أو تقريباً .

- **الثاني** : الحكم المقتطعة باقتباس من خطب طويلة .

وفي الثانيـة تـصرف ، بـل لم يقتـصر الآمـدي عـلى هـذا التـصرف وإنـما تدخـل في صياغـة الحكم بطريقة الـسجع لتحسـين الايقاع وتسـهيل الحفظ وهـذا الاسـتنتاج الاخـير يظهـر من مقدمـة المؤلـف ، و مع ذلـك يمكن لنا القـول بتسـامح : أن المضمـون العلـوي لم يتغير ولم يبعد المـدون عن المقصد الأصـلي. فاقـرؤوا غـرر الحكـم ، اقـرؤوا إشـعاعات الحكمة .

هناك نظرات مختلفة حول موقف علي من نشوء الخلافة منها:

١ـ أنه لم تكن مشكلة أصلا كما هي النظرة السلفية .

٢ـ و منها أنه لم يجد النصرة من الصحابة كما هي النظرة المذهبية .

٣ـ ومنها التفصيل بأنه كف يده فلم يمنحهم الشرعية ثم لما رأى وجود خطر على الإسلام قدم الأهم وهو حماية الإسلام على المهم وهو المطالبة بالخلافة ، خشي من ردة الناس عن الدين ، ومن قعودهم عن حرب المرتدين ، فتقدم للبيعة و المشورة أو على الأقل اقتصر بتقديم المشورة ، هذه النظرة التفصيلية ليست من تحليلنا و إنما هي مقتبسة من كلام مروي مشتهر عن الإمام نفسه ، ولعله حسب الشهرة والانسجام مع التاريخ هو الأقرب و الأنسب ، وفي ذلك نقاش فربما بالتأمل يمكن الوئام بين الثاني و الثالث ، فتأمل .

علـــي

مؤسس التقويم

تأسيس التقويم الهجري : المعتبر من الروايات و المشتهر هو أن ذلك التقويم بدأ حوالي سنة ١٧ هـ أثناء عهد عمر بن الخطاب خلال اجتماع مع الخليفة ودارت الآراء بين تقليد تقاويم العجم وبين التأريخ بالمبعث و بين التأريخ بالوفاة ، هنا قال علي : « **بل منذ خرج رسول الله من أرض الشرك فهو يوم هاجر** » ، وتداولوا بين يوم الهجرة من شهر ربيع وبين شهر رمضان ثم استقروا أن يكون من شهر محرم ليبدأ من أول السنة القمرية عند العرب ، تقويم التاريخ الإسلامي إذن فكرة علوية ، ارتبط بحدث كان للإمام فيه دور أول فدائي في سبيل الله حيث المبيت على فراش النبي ليلة الهجرة ، فهل كان الإمام يريد التذكير بأنه صانع الحدث و صانع التاريخ و أنه لا يمكن نفيه من التاريخ ؟ .

مـن مشـكلات الكتابـة حـول عـلي عليه السلام : ليـس أخـذ كل مؤلـف بجانـب مـن حياته كالحكم أو الفضائل أو السـيرة العامـة أو المحنة أو الفتنة ... إنـما المشـكلة هـو أن هنـاك من يحصر الإمـام في زاوية من تلـك الجوانب ، محـاصرة السـيرة في التسـييس ، أو المحـاصرة في التظلـم أو المحـاصرة في الغيبيـات أو المحـاصرة في التمذهـب ، هـل الحـل أن نقـول بأنـه يتجلى كل ذلـك بجمع المحـاور ، أو نظل نبحث عن المحور الأقرب إلى علي بإنسـانيته و حضاريتـه وربانيتـه و ترفعـه عن التقسـيم و التضييق ؟ ، ثـم حين نتجاوز ذلـك هـل نتجـاوز أثـر المشـكلات عنـد حـلال المشـاكل ، وهـو أن تقديم الجديـد لا يـروق للتقليديـين ولا يعتبرونـه تجـددا جيـدا يشـفع لأخطـاء البحـث و التفكـر ، نـرى أن الاجتهـاد في مدرسـة علي أفضل مـن الاجترار بطريقة الاستنسـاخ ، إن التحـس المتشـدد مـن تجديد البحث أسـوء بكثير مـن تخطئـة الباحث ، فهو إقفـال للعقل و المشـاعر و وأد لمحـاولات تأليف مبتكـر حـول إمـام الإنسـانية و نبـع الحكمة .

علـــي
لا يُـقـاد

علي قائد لا يقاد ، حاول البعض التأثير عليه فما كان له ذلك أرادوا له التلاعب السياسي فردهم بالقول : « **أتريدونني أن أطلب النصر بالجور ؟** » ، مؤخراً أيضاً هناك من يحاول قيادة تاريخ علي بتحليل مؤدلج عبر التسييس أو التمذهب أو التفجع ، لكن ذلك لا يصل إلى ساحل محيطه الأكبر ، هناك من يحاول استبطان قلب علي و تقمص نواياه وهذه باطنية غريبة ، فنجد بعضهم يزايد على الإمام و يفسر قوله و فعله بالتقية ولا يتصور بسهولة في حق حضرته التقية ، المتشدد يفسر أعماق علي بالتشدد و المتساهل يفسر أعماق علي بالتساهل و هناك من يفسره اشتراكياً و من يفسره صوفياً و من يفسره عقلانياً و من يفسره غيبياً !! ، و علي هو علي ، لم نجده عند المحافظين و لا عند الاصلاحين بل و لا عند الاسلاميين لأنه أكبر من الذهنيات الحركية و المرجعية و هذه التصنيفات مقيدة بقوالب معلبة مسبقة الصنع وهو أفق لا يتقولب

هنـاك مـن يعـرض صـورة عـلي بهيـام عاطفي و هـو معـذور حين تأخـذه الهالـة الجماليـة فيتحـدث عنـه بخـط الانجـذاب بخـط حـراري و عـلي مركـز الجاذبيـة الحـارة ، لكـن التحفـظ على مـا يتصـوره المتلقـي لهذا العـرض العاطفـي بأنـه الصورة المستوعبة لـكل الواقـع الحيـدري ، و من ثـم يتـم تهميـش الجوانب الأخـرى و ربـما التهجم عليهـا ، هنـا لا نجد إلى جانـب أفـق العاطفـة أفـق الفكـر و أفـق الموقـف ، فيتصـور المحـب كفاية العاطفـة وأن الحـب بهـذه التجزئة هـو الكل في الـكل لا أنه جـزء من الكل ، بـل يحصـل التنافـر بـين الخطاب الشـاعري والخطـاب العقـلاني و كذلك مـع الخطـاب العمـلي ، فيُتهـم العاطفـي باللامعقـول ، و يُتهـم العقـلاني بالجفـاف ، و يُتهـم العمـلي بالتسـطيح ، فنجـد العاطفي طابـع الجمهور، و العقـلاني طابـع النخبـة ،و العمـلي طابـع الحركيـين ، وهـذه تجزئـة مؤديـة لتنافـر الأضـداد ، تجزئـة لا تناسـب تكامـل مدرسـة عـلي .

علـــي
وحدة إنسانية

مقولـة عـلي عليه السلام « النـاس صنفـان إما أخ لـك في الديـن أو نظير لك في الخلـق » نطـل مـن هـذه الحكمـة عـلى فكـرة نـستنكر بهـا الثنائيـة الغبية في التقسـيم الفكـري [شرق / غـرب] ، تقسـيم مفـرط يكرسـه التعصـب السـلفي ، مـع تغيـب الوحدة الإنسـانية و حـوار الحضـارات ، مع اختلاط الاسـتعماري بالحـواري و السـياسي بالبشري ، هـذه الثنائيـة راجت خلال عقـود مـن التنويـم الخطـابي الكتـابي ، عـن غـرب نجـس و شرق مطهـر ، عـن ثقافـة مقدسـة و ثقافـة مدنسـة ، دون النظـر إلى حقيقـة كونيـة هـي أن خالـق المـخ الغربي هو نفسـه خالـق المخ الشرقـي واحد أحد ، هـذه الحقيقة مغيّبـة وسـط صيحـة التحذيـر و التكهـرب مـن الانحراف و الضـلال ، في أمـة يهددهـا التفكـر ، هـذا العـزل المفـرط انحـراف في التثقيف الإسـلامي عـن حكمـة عـلي و أن الحكمة ضالـة المؤمن يأخذهـا أنى وجدهـا و لو من منافـق و لـو مـن كافر .

هـل قـال عـلي الشـعر ؟ بالطبـع لا يطلـق عليـه وصف الشـاعر كما كان حسـان و الفـرزدق .. هـو لا يهيم في تلـك الأودية ، لكـن القدر المتيقن أنـه ينشـئ الشـعر بجدية ، نحن لا نتشـدد بقصر شـعره على بيتين كما فعل الزمخـشري و المـازني هما :

تلكـم قريـش تمَنّـاني لتقتلنـي * * * فـلا وربـك مابـروا ومـا ظفـروا
فـإن هلكـتُ فرهـنٌ ذمتـي لهـمُ * * * بـذات ودقـين لا يعفـو لهـا أثـرْ

نتحفـظ عـلى هـذا الشـح لأن المصـادر حافلـة بشـعره ، كـما لا نتـساهل بتأييـد نسـبة ديـوان كامـل إليـه ، لأن الكثـير مـن شـعر الديـوان منسـوب أيضـا إلى غـيره مثـل الشـافعي ، و كثـير منـه عليـه بصـمات شـعر متأخـر و في بعضـه ركاكـة لا تناسـبه و رخـاوة مولَـدة ، بـل القـدر الثابـت أن عموم الشـعر المنسـوب لـه ، هـو أقـل فنيـاً و لغويـاً مـن النثر المنسـوب لـه كما في نهـج البلاغـة و الحكم القصـار ، الكثير من الشـعر مشـكوك ، و لكن هناك مـا هـو صحيـح و لو بعـض المقاطـع ذات الجزالـة المناسـبة لعـصره ، المهم التفاضـل بـين كلام عـلي و سـواه إنما يتم عـبر نثره البليـغ البالـغ ، نعم نهج البلاغـة كتـاب الكتـب وليـس الشـعر المنسـوب ديـوان الدواوين .

أواخر التسعينيات صدر كتيّب طريف للناشر الصحافي رياض الريس بعنوان (حديث صحافي مع الإمام علي) كان الكاتب يطرح سؤالاً عن مشكلة معاصرة في المجتمع و السياسة و الاقتصاد و الثقافة ويقبس الجواب من كلام الإمام ، العديد من المؤلفين بعد ذلك قام بتأليف على هذه الطريقة ، أنت تسأل و الإمام علي يجيب أو عصرنا يسأل و الإمام علي يجيب ... الفكرة بالطبع رائعة ضمن عصرنة مدرسة الإمام ، واستنطاق خطابه بتجدد ، و لابد أن تستمر مثل هذه الطريقة بقراءة خطاب الإمام خارج الانحباس التاريخي ، و لكن عسى أن لا تأخذ هذه الطريقة منحى التقليد فقط ، مع التحذير من التورط في تسييس الموضوع وإقحامه في الأغراض الضيقة و التشاحن الرخيص ، و إنما لا بد أن تتحول من التلخيص الصحفي إلى البحث في كل سؤال للمقارنة و اكتشاف قابلية خطاب الإمام للتجدد و أنه سبق عصره وسبق العصر الراهن أيضا .

« أنا ثبير الترك، أنا شملاص الشرك ، أنا جنبنتا الزنج ، أنا جرجس الفرنج ، أنا عقد الإيمان ، أنا زبركم الغيلان ، أنا برسم الروس ، أنا لوش السدوس ، أنا سلمه المطا، أنا دودين الخطأ ، أنا بدر البروج ، أنا شنشار الكروج ، أنا حاتم الأعاجم ، أنا روثيان التراجم ، أنا أوريا الزبور ...» هذا مقطع من خطبة البيان المنسوبة للإمام علي عليه السلام وكنت قد قرأتها مبكراً من مكتبة الوالدة حفظها الله وقد شجعتني على مطالعتها ، فتعلقت بهذه الخطبة منجذباً إلى لغتها متشوقا لما تثيره من تخيل مستقبلي ، و أهوال آخر الزمان و مع ذلك ففي الخطبة ما يلفت النظر من ذكر أسماء أشخاص و عناوين مناطقهم ، بينما المعتبر من روايات آخر الزمان أنها على نحو الرمز و الإشارة لا التعيين وعلى نحو التلميح لا التصريح ، ثم تم الاطلاع على تحكيم علم الرجال للخطبة و أنها غير معتبرة لا سنداً و لا متناً مع وجود أخطاء لغوية و نحوية ، وهي الآن من التراث المنسوب للإمام القابل للبحث والنظر ، في تقديرنا أن الخطبة معدة بذكاء مزج المصحح مضمونه بالمنحول و تمت صياغته بطريقة فنية لا تخلو من مقاطع مضامين معتبرة رغم ركاكة تركيب بعض الفقرات .

علـــي
الإســـم

علي اسم علم مذكر عربي. على وزن فَعيل، معناه: كثير العلوّ، العالي الشرف، الشريف، الشديد، الرجل الصلب. وإذا عُرّف الاسم صار من أسماء الله الحسنى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة ٢٥٥].. وكان الاسم من أسماء العرب أو أوصافهم في الجاهلية، يتسَمَّى به النصارى و غيرهم لكنه غير شائع، ممن سمي به: هوذة بن علي ملك اليمامة بنجد ممدوح الأعشى، هو هود بن علي بن ثمامة بن عمرو بن سحيم بن مرة ابن الدول بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، زعيم قبيلة حنيفة في الجاهلية من المسيحيين العرب، مات قبيل ظهور الإسلام. و يقال هو مشتق من علو الله، في (معاني الأخبار) عن أمه فاطمة بنت أسد عليها السلام «.. فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة سميه علياً فهو علي والله العلي الأعلى يقول: اني شققت اسمه من اسمي وأدبته بأدبي ووقفته على غامض علمي..» ومثله عدة أخبار، و في (علل الشرائع): قال جابر الجعفي: اختلف الناس من أهل المعرفة لم سمي علي عليا؟ فقال طائفة: لم يسمّ أحد من ولد ادم قبله بهذا الاسم في العرب ولا في العجم الا أن يكون الرجل من العرب يقول: ابني هذا علي يقصد أنه من العلو لا انه اسمه وانما تسمى الناس به بعده وفي وقته وقالت طائفة: سمي علي علياً لعلوه على كل من بارزه وقالت طائفة: سمي علي علياً لأن داره في الجنان تعلو حتى تحاذي منازل الانبياء وما من نبي تعلوا منزلته منزل علي وقالت طائفة: سمي علي علياً لأنه علا ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله بقدميه طاعة لله عز وجل ولم يعل أحد على ظهر نبي غيره عند حط الاصنام من سطح الكعبة وقالت طائفة: انما سمي علي علياً لأنه زوج في أعلى السماوات ولم يزوج احد من خلق الله في ذلك الموضع غيره وقالت طائفة: انما سمي علي علياً لأنه كان أعلى الناس علماً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

مَـن قتـل الإمام ؟ لا دليل يـصرف التهمة عـن الخوارجي التكفيري عبدالرحمـن بـن ملجـم المـرادي ، لكـن هنـاك تسـاؤل هـل أنـه قـام بذلك لمجـرد الانتقـام للخـوارج بتحريض مـن خطيبتـه (قطام بنـت الأخضر بن شـجنة) الفاقدة لأبيهـا وأخيها في النهروان ؟ ، أم أن هناك مؤامرة شـاركت أو سـاعدت في تنفيذ الجريمة الكبرى أو اسـتفادت منها ؟ ، هنا يظهر اسـم شـخص خطـير هو قيس بن الأشـعث الكنـدي ، وكان الإمـام يعنفه و ربما يطـرده مـن مجلسـه و ربما رفـض خطبته لإحـدى بناتـه ، علماً أن الأشـعث والـد (جعدة) زوجة الإمام الحسـن عليه السلام و قاتلته بالسـم ، وله ولدان (قيس و محمـد) قاتلا الحسـين عليه السلام، ويـروون تهديد الأشـعث للإمام ممـا يقرب أنه مخطـط الجريمـة أو المـشرف عليها فإنها ليسـت مـن الجرائم العاديـة الفردية ، وكان المنـادي لابـن ملجم : (النجـاء فقد فضحَكَ الصبـح) ينبه بوصول الإمـام المسـجد ، و في رثـاء أبي الأسـود الـدؤلي تلويـح بمؤامـرة وراءهـا معاوية نفسـه :

ألا أبلـغ معاويـة بـن حـرب * * * فـلا قـرت عيـون الشـامتينا
قتلتـم خـير مـن ركـب المطايـا * * * و أكرمهـم و مـن ركـب السـفينا

الشـامت هنـا مـتهم بالقتـل و أي قتـل كهـذا لم لا يقـف وراءه داهيـة العـرب .

الإمـام بعـد ضربتـه في محـراب الصـلاة أوصى بالإحســان إلى ابـن ملجـم حتـى يتبـين اسـتحقاقه للقصـاص محـذراً مـن أن يقتل به غـير قاتله حتـى لا يخوضـوا في دماء المسـلمين ، و قال للحســن عليه السلام : « **إنـكَ ولي الأمر بعـدي فـإن عفـوتَ عـن قاتـلي فـذاك و إن قَتلـت فضربة مـكان ضربـة ، و إيـاك و المُثلـة فإن رسـول الله نهـى عنها و لو بكلـب عقور** » ، فـما كان مصير ابـن ملجـم ؟ الظاهـر أن الجماعـة لم يلتزمـوا وصيـة الإمام بل وصـل الأمر إلى المثلـة فإنـه بعدمـا قتله الإمام الحسـن عليه السلام ، قام النـاس بإدراجه في بارية رشـوها بالنفـط فأحرقـوه ، و روى أبو الفـرج عن أبي مخنـف : أن امرأة من النخـع مـن همـدان (أم الهيثـم بنـت الأسـود) اسـتوهبت جثتـه فوهبها لها (الحسـن) فأحرقتهـا و سـودت وجهـه ، و هـذا لا يصـح لأن الحسـن لا يخالـف الوصيـة قطعـاً ولأنـه الأعلم بالمثلـة ، و نسـب البـلاذري الإحراق بالنفـط ـ داخـل كيـس مـن سـعف النخيـل ـ إلى النـاس ، و نرجـح إشـارة البـلاذري بقرينـة الفـوضى المتأخـرة و لأن الحسـن لـن يضـع حراسـة على الجثـة بعـد الدفـن ، و مثل إخـراج الجثث للتشـفي منها بالتمثيل و السـحل حـدث كثـيراً عـبر التاريـخ ، المهـم أن وصية الإمـام لم يتـم تنفيذهـا فمثلوا بابـن ملجـم تشـفياً و انتقامـا ، ربـما لأن النـاس هنـا تتعامـل مع مثـل هذه الوصايـا عـلى أنهـا مثاليات أعـلى من الواقـع تشـبه الكرامات فـلا يتقيدون أثنـاء الصخـب بتسـامح المثـل الأعلى .

هنـاك خـبر ملفت للنظـر لكنه يتناسـب مـع ذهنية التيـار التكفيري مفـاده : أنـه قبـل الفاجعـة بليلتـين دس ابـن ملجـم إلى الإمـام عـلي ورقـة ملفوفـة ففتحهـا الإمـام فلم يسـتبن قراءتها بسـبب العتمة فلما صـلى فتحها فقـرأ فيهـا : أدعـوك إلى التوبـة من الـشرك ، و أنابذك على سـواء ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسـف٥٢] ، فسـأل عن صاحبهـا فلم يجبه أحـد فقـال : عليـه لعنـة الله ، و بصق فيـه و محا الآيـة ثم رمى بالصحـيفة ، هـل كان ابـن ملجـم بدرجـة مـن التـورع بحيـث ينـذر الإمـام حتـى لا يتصـف فعله بالغـيلة و الـغدر لأن ذلك حـرام ؟ ، أي تـفقه لـدى هؤلاء الذبـاحـين ؟ بالطبـع هـي ليسـت المـرة الأولى التـي يـصرخ فيهـا الغوغاء الخـوارج بوجـه سـيد الموحديـن بسُـبة الـشرك فقـد قاطعـه أحدهـم أثنـاء خطبـة الجامـع هاتفـاً بآيـة ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ! ، هنـا يتقمـص الحقـد رداء الديـن مقلوبـاً ، فتتشـوه الـرؤى ، ولم تـدع التجـارب اللاحقـة مسـاحة اسـتغراب لهذا المسـخ بـين المتأسـلمين .

علـــي
وتفقه أم سلمة

هـل كان مـن المتوقع خـروج أم سـلمة لنصرة عـلي في وقعة الجمل لنطالـع مشـهد حـرب الضرتـين ؟ .. أم سـلمة بعثـت برسـالة واضحـة إلى المعسـكرين الأولى نحو معسـكر عائشـة حيث تـصرح بالوعـظ لضرّتها ثم الاسـتنكار و تفسـير نيـة انقلابهـا مـن مرحلـة النعثلـة إلى المطالبـة بالدم .. رسـالة أم سـلمة الثانيـة كانـت نحـو معسـكر علي عليه السلام وهـي رسـالة فقهية واضحـة بأنهـا لـن تتحـوأب و لـن تتجمـل و لـن تتهـودج ولـن تتبغّـل ، فالـتكليف الشرعـي واضـح لـدى زوجـة النبي صلى الله عليه وآله بقـولها لـلإمام : « .. ولـو لا مـا نهانـا الله عنـه مـن الخـروج ، و أمرنا به مـن لزوم البـيوت ، لم أدع الخـروج إليـك و النـصرة لـك ، ولكني باعثـة نحوك ابنـي و عدل نفـسي عمـر بـن أبي سـلمة فاسـتوص بـه يـا أمـير المؤمنـين خـيراً » الرسـالة حـين ننظـر إليهـا خـارج التقديـس مبطنـة بدلائـل فقهية سياسـية مدبـرة لإبراز المقارنـة و التضـاد داخـل البيت النبـوي ، و التذكير بما هـو مرتكز متشرعي ﴿وقرن في بيوتكن﴾ قـرار تم اختراقه بنشـوز غريب دينيـا واجتماعيا .

يتناول المؤرخون مثالب الخوارج منذ حرب النهروان بلا تحرّج و يتفننون في التقاط التفاصيل و ما ذلك إلا لأن الخوارج قد انكسرت شوكتهم ، فليس منهم رجاء و لا خوف ، عكس تحرج المؤرخين تجاه حربي الجمل و صفين ، كما أن الخوارج لم يعد لهم مذهب بارز يحسب له حساب ، فقد أصبحوا فريسة لكل حاكم و من مطاريد الجبال و القفار خلال العهود التالية ، وهكذا رويت فيهم عشرات الأحاديث النبوية المشكوكة حيث تذكرهم بالاسم و هذه المرويات المذكورة بقدح الطوائف المسماة نشك في صحتها كلها من أي طائفة صدرت ! ، فيما نجد الموقف الأخلاقي الرفيع من الإمام بعد استئصال عنفهم المتطرف ، لم يطلق فيهم فتوى إبادة أو ملاحقة ، إنما أوضح أن محاربتهم دفع لإرهاب و عدوان ليس إلا ، فأعلن بيانه الأخير حولهم : « **لا تقاتلوا الخوارج بعدي فليس من طلبَ الحقَ فأخطأَه كمَن طلب الباطلَ فأدركه** » حتى لكأن الإمام يوصي بأعقابهم من الثأر و يعفو عما سلف منهم رغم فداحة عنفهم النازف .

علـــي
و التـنـجـيم

نلاحظ خلال منعطفات من سيرة الإمام وجود واقعية حادة تتصل بمبادئ حاسمة لا تدع فسحة للمناورة و الاحتمال ، فبينما نجد حالياً مختلف الفضائيات بما فيها الاسلامية تجلب مشاهير الأبراج لقراءة المستقبل عبر التنجيم حتى لو لم تكن القناة مؤمنة بذلك إنما تتسامح جذباً للمشاهدين و تلبية للرغبات ، بينما نجد في سيرة الإمام الرفض الصريح لهذه الفنون المخادعة و منع تسربها إلى الأذهان ولو بنحو التوقع فلا يمنحها أي شرعية ، كما في موقفه من المنجمين أثناء مواجهة الخوارج وذلك بنفي علم المنجم بالغيب و أن تصديق التنجيم تكذيب للقرآن ، و أن النبي لم يدّع ذلك ومن آمن بذلك اتخذ المنجم من دون الله ندا ، و أعلن مخالفة المنجم و السير عكس نهيه في الساعة التي ينهى فيها ، ثم قال للناس : «إياكم و تعلّم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر فإنها تدعوا إلى الكهانة و المنجم كالكاهن و الكاهن كالساحر و الساحر كالكافر و الكافر في النار » إننا هنا عند تأسيس منهج بحث علمي و تخطيط واقعي خارج تأثير الخرافة بل كان يؤسس لمراحل لا تتحرك حسب الغيبيات المفرطة بل بقوانين سببية .

بنظرة تدقيق يتم إرجاع المذاهب الإسلامية إلى الإمام علي عبر شجرة معرفية ، فمثلاً المعتزلة أتباع واصل بن عطاء وهو تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية و هذا تلميذ أبيه محمد و هو يرجع إلى علي ، أما الأشعرية فزعيمهم أبو الحسن الأشعري هو تلميذ أبي علي الجبائي و هذا من أعلام المعتزلة فمرجعهم علي ، أما مذهب أبي حنيفة وهذا تلميذ جعفر الصادق فمرجعه إلى علي ، و الشافعي تلميذ محمد بن الحسن وهذا أخذ من أبي حنيفة فالمرجع إلى علي ، و أحمد بن حنبل تلميذ الشافعي فالمرجع إلى علي ، و مالك تلميذ ربيعة تلميذ عكرمة تلميذ بن عباس و مرجعه إلى علي، و الشافعي تلميذ مالك فالمرجع إلى علي ، شيخ العموم الحسن البصري يأخذ من علي ، ويقر أعلام المتصوفة برجوعهم إلى أحوال علي ، و هكذا يرجع النحاة و الأدباء إلى بيان علي ، وهكذا يرجع الصحابة في العلم إلى علي ، و قد اشتهر الحديث النبوي : أقضاكم علي ، أي أنه الأفقه ، و من الواضح رجوع الإمامية و الزيدية و الاسماعيلية إلى فقه علي ، عليك السلام يا أستاذ الكل ، يا تلميذ محمد ، يا علي .

هنـاك ظاهـرة متميزة في التاريـخ عنوانها (الوافدات عـلى معاوية) و نحـن حـين قـراءة هـذه الظاهـرة بـدون تهويـل نتوقـف هنـا عنـد نقـاط :

١ـ الحساسية الاجتماعيـة من لقاء النسـاء مبـاشرة مع حاكـم و المجادلة في مسـألة شـائكة دينية و سياسية .

٢ـ التفـاوت الطبيعـي في مواقـف النسـاء الـذي لم يكن بدرجـة واحدة من المصارحـة و المـداراة ممـا يعني أنهـن لم يكـن من فئـة واحدة و لا بمسـتوى واحـد فهنـاك مـن كانـت تواجـه بجـرأة و هنـاك مـن كانـت تحـاول تجنب المواجهة .

٣ـ إن الظاهـر مـن عنـوان الوافـدات هـو مبادرتهـن للمجـيء بسـبب شـكوى أو بيان حـال لا أنهن مدعـوات للتحقيق لكن الواقـع على العكس فالأغلـب تم الاسـتدعاء لهـن إلى القـصر و كان معاوية يبادرهـن بالتحقيق في الموقـف مـن عـلي عليه السلام .

٤ـ قـد نـستغرب من جسـارة الوافـدات خـلال حوارهن مـع معاوية لكن يخـف الاسـتغراب حـين نعلـم أنهـن عجائـز ، و أنهـن مـن قبائـل حصـل معهـم عهـد عـلى عـدم المؤاخـذة بعـد توقـف الحـرب و بعـد وفـاة الإمام عـلي، ثـم إن معاويـة من الدهـاء بحيث يبـادر لجس نبض خصومه و سـماع اعتراضهـم .

٥ـ مـن العناصر المشـتركة بين أخبـار الوافدات على معاويـة بلاغة الخطاب و الجـواب واسـتحضار الشـواهد القرآنية و الشـعرية ، لذلـك اهتمت بهذا الموضـوع مصـادر الأدب مثـل العقد الفريد لابـن عبد ربـه الأندلسي الذي ننقـل عنه ذلك و سـنقف عنـد بعضها .

نتوقف بين أخبار (الوافدات على معاوية) عند مواقف الجرأة و قوة الحجة على الموالاة لعلي بمرجحات الدين و العدالة دون خروج عن محاولة عدم الانزلاق في الاشتباك العصبي ، نموذج ذلك (الزرقاء ابنة عدي الهمدانية) و قد أشار بعضهم على معاوية بقتلها لأنها خرجت محرضة المقاتلين ضده في صفين ، هذه بالذات جاءت من الكوفة باستدعاء رسمي فأجابت : (إن كان جعل الأمر إليّ فإني لا آتيه ، و إن كان حتم فالطاعة أولى) ، لقد ذكّرها معاوية بتحريضها على القتال ، ونستغرب من حفظه نص خطابها ! ثم قال لها : لقد شاركت علياً في كل دم سفكه ، فردت بقوة : أحسن الله بشارتك و أدام سلامتك فمثلك يبشر بالخير و يسر جليسه ، فضحك و قال لها : و الله لَوفائكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته ! .

هنا نجد الزرقاء جريئة دون الخروج عن دبلوماسية الحوار و تجنب المواجهة الحادة ، ويمكن تقييم هذا الموقف بالوسطية الشجاعة من غير تفريط في الموقف الثابت .

بعض (الوافدات على معاوية) اتخذن سبيل المصارحة الحرجة خصوصا عند المقارنة المعلنة بين علي و معاوية ، كما هو حال (دارميّة الحجونيّة) من بني كنانة ، و قد استدعاها معاوية ليسألها عن سبب حبها لعلي و بغضها له و نزولا على إلحاحه أجابت : أحببتُ علياً على عدله في الرعية و قسمته بالسوية ، و أبغضتكَ على قتال من هو أولى منك بالأمر و طلبكَ ما ليس لك بحق .. و مما قالت عن علي : رأيتُه و الله لم يفتنه المُلكُ الذي فتنك ، و لم تشغله النعمةُ التي شغلتك ،، و من الغريب أن ينتهي اللقاء بطلبها من معاوية مائة ناقة حمراء فيها فحلها و راعيها ، ثم يسألها : فإن أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي؟ ، قالت: سبحان الله و لا دونه ، ثم قال : أما و الله لو كان علي حياً ما أعطاك منها شيئا ؟ قالت : لا و الله العظيم و لا وبرة واحدة من مال المسلمين ، هذا اللقاء طريف قوبلت هنا جسارة المرأة بعطاء و فير ، لكأنّ سطوة اللسان مفتاح صندوق السلطان ؟ نحسب أن الوافد لو كان رجلاً لم ينل هذا العطاء إلا لشراء ذمة و تحشيد أحلاف .

مـن الطبيعـي أن لا يخلـو الحـوار مـع (الوافـدات عـلى معاويـة) مـن حـدة سـجال قـد تـؤدي إلى تهديـد النـسـوة ، رغـم أن الحاكـم يـدرك عـدم الخطـر مـن كلامهن داخـل اجتـماع خـاص و بعدما وضعـت الحرب أوزارهـا ، مـن شـواهد الحـدة مـا حصـل مـع (أروى بنت الحـرث بن عبد المطلـب) و هـي عجـوز لا يخيفهـا شيء ، و بينـما كان معاويـة يصغـي إلى نقدهـا بهـدوء رغـم حدتهـا و استعمالها عبـارات مـن قبيـل (أسـأتَ لابن عمـكَ الصحبـة و أخـذت غير حقـكَ من غـير سـابقة في الإسـلام)، بينما كان معاويـة يتلقـى تقريعهـا بهـدوء ، تدخّـل عمـرو بـن العـاص بكلـمات نابيـة قائـلاً : كفّـي أيتهـا العجـوز الضالـة و اقصـري عـن قولـك مـع ذهـاب عقلـك! ، و قـد تعرضت إحـدى الوافـدات للخطر مثـل (الزرقاء الهمدانيـة) عندمـا أشـار بعضهم عـلى معاويـة بقتلها فرفض هذه المشـورة ، وهنـاك مـن يشـتكين غلظة شرطة الحكـم فقالت (بـكارة الهلاليـة) لمعاوية وهـي ترعـش لكبرهـا : (قـد نبحَتـني كلابُـكَ و كلامهم أغشـى بصري و قـصّر حُجتـي)، وهـذا منتهـى الجسـارة بنقـد جهـاز الحكـم .

يلاحظ في خطاب بعض من (الوافدات على معاوية) تحرّي الحوار اللين و محاولة حسن التخلص ، فمنهن من تدعوه بلقب أمير المؤمنين مثل (عكرشة بنت الأطرش) و (سودة بنت عمارة) بينما هناك من تجنبن ذلك ، و منهن من يطالبها معاوية أو رجاله بتذكر كلامها التحريضي فتظهر النسيان تخلصاً بحجة الكبر كما هو حال (الزرقاء الهمدانية) ، و منهن من تطلب الإعفاء عن الأجوبة المحرجة عند طلب المقارنة بين المعسكرين الضدين كما هو حال (دارمية الحجونية) ، و منهن من تطلب العفو مذكرة بصفح بني عبد مناف كما هو حال (أم سنان بنت جشمة) ، و مع ذلك لم نجد واحدة بين الوافدات من تنقلب على إيمانها بعلي و تتنكر لموالاته ، أو تبدي الندم الصريح على مناصرتها للأمام و تحريضها ضد القاسطين المناوئين ، و إنما أقصى ما تبديه : واقعية نهاية الحرب و التلميح بالصفح بطريقة عفا الله عما سلف ، و قد أثر ذلك بنطاق محدود وربما هو أبلغ من التأثير بعد قرون حيث تستعر الشارات بين من لم يشهدوا تلك الحروب.

علي كما يراه الفقير المحب ليس ثورة رغيف و إنما هو تغذية بطاقة من التحبب ، بوجدان البطولة : السيف قانون لا يرتضيه أحد لأنه سيف ينصف قاتله ، بوجدان الإيمان : رأسه مصحف غير مقروء فتح بالسيف لا بالبسملة ، بوجدان الفقراء : علي الفقراء في منزل فقير وهو يحتل أعلى منزلة ، لا ذهب أغلى من مذهبه ، ينعس على كتفيه الملاك و هو ساجد بين نوافله ، لكن وسادته لا تنام من شوقها ثم تصبح و هي سجادة صلاة ، تتوافد على الأمة المشاكل بلا حل ، و تتوافد على علي الحلول بلا مشكلة ، كل بكاء يخل بالرجولة إلا البكاء عليه ينقي الرجولة ، الذين رفضوا إمارته أصابوا لأنه (أمير المؤمنين) ، لو أراد الإمارة لأدار بيده دائرة الزمان ليعيد تنصيبه النبي تارة أخرى ، لأن من يعيد الشمس يعيد دورة الزمن ، سلالة علي العترة و علي القرآن الناطق أي أنه مجمع الثقلين ، لأنه باب العلم ويتحدثون عن قصره فهذا يعني أنهم يأتونه راكعين ، علي باء البسملة و بدونه تصير (سم الله ..) كيف لا يكون معصوما و هو حبل الله الذي نعتصم به فهو العاصم ،، هكذا نطالع حيدرة في المشاعر الكادحة

كان الإمام ينتقد الخلفاء بالنقد الصريح البناء الممزوج بالنصح و التحذير ، دون تملق أو إمضاء شرعية ما يجري ، حين ننظر بلا مكابرة إلى نقد الإمام لعهد الخليفة الأول نجده يخدش في شرعية التنصيب ، نعرف ذلك من كلامه و من سيرته ، فهنا أحداث لا يمكن القفز عليها و ليست الخطبة الشقشقية الوثيقة الوحيدة لذلك مع أنها من أهم الوثائق وفيها يصرح أن الرجل تقمص الخلافة وهو يعلم أن محل الإمام منها محل القطب من الرحى ، و يعلم مكانة الإمام ، و أنه صبر على الظلمة العمياء ، و يستغرب كيف كان يطلب الاستقالة منها ثم ينصب غيره ، وأن الشيخين تقاسماها كتقاسم حلب البقرة ، و كان نقده للخليفة الثاني صريحاً : فقد وصف عهده بالخشونة وشدة الجرح و كثرة الخطأ ، وهنا أحصو سبعين موقفا تردد فيها قول الخليفة بمثل (لولا علي لهلك عمر) ،و شبهه الإمام براكب ناقة صعبة إذا شد لجامها يقطع أنفها و إذا أرخاه تقحم المخاطر ، و كان نقد للخليفة الثالث شديداً يدين به الاقبال على الدنيا و تكوين عشائرية تخضم مال الله (خضمةَ الإبل نبتة الربيع) و أنه كبت به بطنته و أجهز عليه عمله ، و أن مقتله كان بسبب الأثرة ، و لقد أكثر له التحذير أن لا يسوقه مروان والقصد النصيحة كما ذكر ذلك (وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً ، فإن كان الذنب إليه إرشادي و هدايتي له ، فربّ ملوم لا ذنب له).. هذه حقائق لا ينبغي النفخ فيها و لا القفز عليها و لا يجوز تعنيف الناقد .

هـل كان تعبـير الشـيعة عنـد عـلي بنفـس التعبـير الاصطلاحـي ؟ لا ريـب أن تعبـير الشـيعة قديـم و أن هنـاك أخبـار تـدل عـلى وجـود كتلة صغيرة تسـمى (شـيعة علي) تعنـي بالدرجـة الأولى الصحابـة المقربين منه ، و بينهـا أحاديـث نبويـة أيضاً ، ثـم أخذ التشـيع معنى المحبة مقابـل العداوة لكـن المصطلـح لم يأخـذ المعنـى المذهبـي المعهـود عنـد النـاس و إنـما قصد بـه الصفـوة و قصـد بـه معنـى أخلاقـي من سـيرة عليـا لا تتوفر عنـد عامة النـاس وهـي نـوع من الرقـي الـروح و التنزه الدينـي و نجد ذلـك في كلام الإمـام الإن أهـل الجنـة لينظرون إلى شـيعتنا كـما ينظر الإنسـان إلى الكواكب في السـماء ا شـيعتنا هنـا نخبة راقيـة من أهل الجنـة و ليـس عمـوم أهل الجنة ، إن التشـيع بمعنـاه الأصـلي هو الاتبـاع العملي في التكامـل الأخلاقي قبل الاتبـاع الفقهـي أو الاتبـاع المذهبـي أو السـياسي ، و إن ظهـر بعد التقسـيم المذهبـي ذلـك المعنـى الملائـم للواقع المذهبـي السـائد ، ولنقـل أن المذهب صـار الإطـار الظاهـر للباطن الأخلاقـي ، فهناك مـن هو بحكم الشـيعة و هنـا من هـو بحقيقة الشـيعة فقـد كان الأئمة ينفـون حقيقة التشـيع عن من يخالفهـم في العمـل و يخـرج عن إرشـادهم و يـسيء إلى منهجهم بتسـلط أو غلـو أو انحلال .

علـــي و الـغـلـو

أبجدية الغلو في هذه الأمة بدأت بالذهول من شخصية علي ، بل إن مصطلح الغلاة لغوياً و تاريخياً لا ينصرف إلى غير المغالين في علي خصوصاً ، و ما كان لأحد سواه من الصحابة أن يكون له غلاة ، هذا إنما يدل على معالم الدهشة في شخصية علي و تجاوزها للمألوف الأمر الذي جعل البعض يرفع علياً إلى درجة التأليه ، فيما كان هو ضد ذلك وكان يرد ببلاغة على مخاطبة الغلاة بقوله لأحدهم : « **أنا دون ما تقول و فوق ما في نفسك** » ، بل بلغ الأمر إلى محاربتهم و هنا ما يروى من أن الإمام أحرقهم ، وهذا ما نستغربه و نتوقف حوله ، و لقد كان الإمام يحذر من الخلل الفكري بين المحب الغال و المبغض القال فكلاهما من الهالكين حسب تعبيره ، و عند علي منهج الوقاية من تساقط العقول على مذبح الغلو عبر الذهول أو تفنن التأويل ، وكان إمام الإيمان ينبه الأذهان من هذه المخاطر الخادعة بمثل قوله : « **اتقوا الله و لا يخدعنكم إنسان و لا يكذبنكم إنسان فإنما ديني دين واحد ، دين آدم الذي ارتضاه الله و إنما أنا عبد مخلوق ، و لا أملك لنفسي نفعاً و لا ضرا إلا ما شاء الله، و لا أشاء إلا ما شاء الله** » إن الدين عند علي ليست أهواء و لا عواطف مفرطة ولا لوحة سريالية ، و لا تخيل شعري ، الدين حقيقة و رسالة و تعقل و محبة و موقف .

بيننا و بين إمام الأئمة مسافة متعبة من مؤشراتها :

١ ـ تقدمية الإمام و تخلفنا ، فقد كان يدفع الإسلام نحو تجدد لا يناسب كسل العقول و بطء الهمم و هو ما يطغى على ماضوية الأمة ، التقدمية تظهر في نقده الشديد للمجتمع و الحث على العمل و إثارة التفكر ، و الحكمة الحيوية .

٢ـ سعة رؤية الإمام الكونية و ضيق أفق وعينا الذي يزداد ضيقا وضيقا ، تظهر سعة الرؤية بأنه لا يتكلم بفئوية متعنصرة بجماعة أو قبيلة و لهذا استقت حكمته البقاء و الكونية .

٣ـ سيرة القيم الصافية لدى الإمام فيما تتلوث سيرة الأكابر بمصالح ومبررات ، تظهير سيرة القيم من خلال ترويض النفس بالتقوى و البعد عن الانتهازية و الصدق على كل حال .

٤ـ سيرة الإمام الإنسانية في العدالة ومواساة الفقراء و المختزلة لدينا في الصدقة المأجورة لإراحة الضمير و المتاجرة بالأجر ، سيرة خصم الظالمين الفاسدين ، كافل الأيتام ، ملاذ الفقراء .

بين الأمة و إمامها مسافة لا بد أن تفيض بدموع الندم و عرق الإصلاح.

علـــي
و الأيـتـام

عـلي ابـن أبي طالـب عليه السلام كافـل الأيـتـام ، و كان أبـوه كافـل أعظـم يتيـم .

ثـم بعـد علي أصـاب اليتم الطفولـة و التعاليـم و القيم ، وهـي الآن تصرخ في المنابـر و الإعلام :

وا يتـماه..وا عليـاه ... إن الوعـي المعـاصر قـد يـردد أن اليتم المعنوي أشـد مضاضـة حـين فقـدان الأرض سراجهـا و وتدهـا ، لكـن اليتـم الظاهـري يتـمادى بقسـوة واقعيـة ، فالأيتام لم يهدأ وجعهـم المتـسلسـل ، إضافة إلى يتم الأمـة إداريـاً حيـث غيـاب رعايـة الأبـوة القيادية ، عندما تاهـت تلتمس البطولـة بـين التماثيـل المتـسـاقطة عـلى الـدرب ، فـلا تصـل إلى مأمـن و لا يطمئـن بهـا المسـار ، مع فقدان الانسـجام بين الحاكم و المحكـوم ، و حلول التنافـر محـل التواصـل ، بينـما كان اليتيـم يعلـن لأترابـه حـين يسـألونه عن أبيـه يقـول بفخـر : أبي عـلي ، و لـك أن تلحـظ بغيـاب لطفه اليتـم البشـري و اليتـم الروحـي و اليتـم الاجتماعـي لأنـه أب الأمة و كثير مـن الكبراء لا يسـتطيعون الاتصـاف بأبـوة الأمة و إنما لا تتعـدى أبوتهم العائلـة أو القبيلة أو الرفـاق أو الجماعـة لأنهـم صغـار لا يكبرون .

(مبحث قصير) نتناول ما نسب للإمام حين رأى الزهراء عليها السلام تستعمل السواك !

حظيتَ آيا عود الأراكِ بثغرها * * * أما خفتَ يا عود الأراكِ أراكا
و لو كنتَ من أهل القتال قتلتك * * * و ما فاز مني يا سواكُ سواكا

حسب تصوري .. هذا الكلام المنسوب إلى الإمام جميل بالنظرة الأولى قبل التفحّص ، لا نناقشه سنداً و لا متناً ، و لا نجده يخالف القداسة كما قد يتوهم البعض لأن هذا تشدد لا مبرر له لا في الفقه و لا الأخلاق ، بل على العكس هو تعبير عن الغيرة و التعفف ، و لا يصح القول أنه خلاف استحباب السواك فهذا شطط بعيد عن فهم الشعر ، بل ألاحظ عليه نقطتين :

أولاً : مثل هذا التعبير من الجناس (الأراك أراكَ ــ سواك سواكَ) لم يكن مألوفاً في عصري صدر الإسلام و الإمام ، بل المقطع يخلو من جزالة ــ هذه ملاحظة أدبية ــ .

ثانياً : لم نعثر على هذين البيتين في مصدر قديم ... بغض النظر عن سند الخبر فهو بالنسبة لنا لا يمثل الدرجة الأولى فلسنا ملزمين بجدول السندين ، بل لو يخرجه باحث من مصدر قديم فهذا بتقديري يكفي لصحة نسبة البيتين إلى علي عليه السلام .

علـــي
كيف قتل ؟

كيفية شهادة أمير المؤمنين عليه السلام سئلت في الطريق :كيف تمت ضربة الإمام ؟ ..

الجواب أولاً : المشتهر منبرياً أنه أثناء صلاة الصبح.

ثانيا : ما تورده بعض التواريخ أن الضربة أثناء دخوله المسجد ولعله مشتهر لدى السنة ويرجحه أحد كبار الخطباء ، و أنا لم أتحقق من المسألة بدقة حاسمة و لكن الراجح عندي حتى الآن أن الضربة تمت قبل الفريضة أثناء اشتغال الإمام بنافلة ويدعم ذلك : أن الغدر الملجمي تم بتخطيط اغتيال ـ يناسبه عدم تجمهر المأمومين ـ والمروي مجيء الحسنين عليهما السلام لاحقاً من البيت ولابد من استعدادهما للصلاة، وليس من الاغتيال اختراق الصفوف عشوائياً .

يخطيء من يصور ابن ملجم متهوراً غامر بجريمته والحال غير ذلك فهذا عمل خطير تم إعداده بمكر وكان معه أعوان هربوا وقبض عليه فهو مرتزق عند الخوارج وكان الانسب للاغتيال اشتغال الامام بالنافلة لضمان عدم الاشتباك و عدم التجمهر فالقول بالاغتيال أثناء دخول المسجد ضعيف و لا يقوى القول بالاغتيال أثناء الفريضة.

التساؤل في محله عن عدم تواجد الحسنين عليهما السلام وهذا يرجح أن الضربة لم تكن في فريضة الصبح ولو كان أحدهما هو الغائب لم يكن التساؤل .

للأمانة الآن أفادنا د.عبدالكريم الأعرجي عبر اتصال بتحليل مختلف مفاده: عدم استبعاده حصول الجريمة وقت الفريضة لأن النافلة صلاة فرادى فيلتفت بعض الحضور للجريمة فتفشل بينما في الفريضة ينشغل الكل بالصلاة فيتمكن ابن ملجم من التسلل ..وهو تحليل وجيه لابد من مراعاته في البحث ، لكننا نرجح أن الضربة حصلت بمجيء الإمام مبكراً للتنفل .

٥ أغسطس ٢٠١٣ م

مقطع من رسالة : « يامن دل على ذاته بذاته» هنا معان كثيفة لكن ألطفها و أقربها للوجدان : أن العقل يستدل على الله بنور من الله وفي دعاء أبي حمزة الثمالي عن زين العابدين عليه السلام «لولا أنت لم أدر ما أنت» و يمثل له بقول الشاعر :

أعارته طرفاً رآها به ❊ ❊ ❊ فكان البصيرُ بها طرفُها

و نحن أيضاً أعطانا الله بصيرة نراه بها فكان النظر إلى الله بنور منه ، نحن ننظر إلى الله بعين الله ..وللتخفيف ننظر إلى الله بعين من الله ، و بالطبع المعنى الحقيقي لا يدرك إلا بالمعاناة يقاربه تذوق العسل الأقرب من كل وصف لطعمه ، وهذا المعنى لا يحضر بكماله إلا عند أمير البيان الناطق به في دعاء الصباح و هو سيد الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام .

٩ يونيو ٢٠١٣

تساؤل : لوكان هناك رواية صحيحة لصعب الاعتماد عليها في مثل هذه المسألة فكيف لو لم تتوفر ، قد يقال لا يلزم التدقيق في مثل هذه القضايا و هذا قول يسوق للهرج و المرج لأننا لسنا في سوق الفجل .. نؤكد أنه بعيدا عن البحث السندي وهو منكسر لا مخدوش فقط ، فإن هذا التحريق لم يترك صدى و لم يشهر به أحد على الإمام عليه السلام و لو كان إحراق لبقيت روائح الدخان طويلا وأصبح مضرب مثل ، ولوجدنا أثره في خطب الإمام وبقية الأئمة عليهم السلام لأنه يستدعي التساؤل و البيان ، فهذه الأخبار من الغرائب المتأخرة و مجرد أن يرويها مصدر قديم لا يثبتها ، فكم في كتب الأخبار من الغرائب لأنها تجمع حتى ما يحكى بين الندماء و الرعيان من المسموع. إمام الإنسانية لا يحرق ، من يتحمل الأذى و التكفير و الشتائم لا يحرق ، من يصمت حفاظا على الرسالة و يتواضع كمظلوم لا يحرق ، من يتورع عن سلب نملة جلب شعيرة لا يحرق بشراً . فأي رواية و أي حكاية ! .

- بالسياق التاريخي قبل وبعد يصعب قبول حكاية حرق الغلاة ، وهنا لا تقليد للأخبار المتفحمة .

- مع ذلك ما أصعب الأسرار العلوية و القيم الحيدرية ، محرقة لقلوب و أفكار .

منذ شـهور أوردت قول إمامنا « **الله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل** بـه غيركـم » ..قلت أن فيها معنـى عميق لم أذكره حينهـا .. الآن يمكن قوله : فمَـن الـذي يسـبقنا ؟ هـل الغـرب تماشـياً مع مقولـة محمد عبـده (رأيت في الـشرق مسـلمين بـلا إسـلام و في الغـرب إسـلاماً بـلا مسـلمين) و مـا تفـسر بـه مـن أن الغرب عمل بالقرآن فسـبق المسـلمين مدنيـاً و حضارياً .. أم يسـبقنا مذهـب آخـر لاهتمامه بالقـرآن و إهمالنا لـه .. يبـدو أن التوهين مـن أهميـة حفظ القـرآن أراحنا للنوم في خلـل تعليمي ..علينـا الآن كما اراد إمامنـا سـبق الآخـر بالتحفيـظ و التـلاوة و الفهم ..يكفـي تبرير أننـا نفهم وهـم يحفظـون ، لنحفظ ونفهـم ، بالحفظ و الفهـم والعمـل يكتمل العمل الأجـود حتى لا يسـبقنا بـه غيرنا .

ـ مؤخـراً نـشر مقطـع ينقـل أن شـيخ حسـن زاده آمـلي نـدم أنـه لم يحفـظ القـرآن ، و هنـاك من استغرب ذلك ، مـا الغرابة ؟ كل مـن لا يحفظ القرآن يندم .

مقطع من نقاش ساخن مع ناشر :

■ فوجئت أن طبعتكم تلخيص لكتاب جورج جرداق و ليس الكتاب الأصلي .

- التلخيص ترويج لفضائل الإمام بطرق متنوعة .

■ لكنكم لم تذكروا ذلك على الغلاف مما يجعل القاري ينخدع .

- نحن نحترمك و تقول عنا مخادعين أنت لا تعرف من نكون ؟!

■ لم أقل عنكم مخادعين لكن أشرت إلى خطأ يدفع للانخداع .

- المفروض بمثلك أن يتقن الألفاظ .

■ المفروض بمثلكم أن يتقن العمل ويسمع النقد .

أولا : ثلاث أرباع قيمة كتاب (علي صوت العدالة الإنسانية) في ألفاظه ، فأي تلخيص وهذا نفس حجم الأصل تقريباً ؟

ثانيا : كان ينبغي ذكر عبارة تلخيص على المجلد.

ثالثا : هل وجدتم الملخِص أبلغ من المؤلف ؟! .

١- علي عليه السلام أو على السلام علي .

٢- علي الإستثناء في قواعد الرجال .

٣- علي أي معنى لم يقله ببلاغة حكمته ؟

٤- علي سؤال فكر و سمو حب و معجزة موقف .

٥- علي المعشوق الذي تستمر مصارع عشاقه .

٦- علي إمام الأئمة ، حكيم الحكماء ، قدوة الحكام .

٧- علي الحاكم الحكيم وسواه حكيم بلا حكم أو حاكم بلا حكمة .

٨- علي حبه وعد بالشهادة و بغضه وعيد بجهنم .

٩- علي لا الغلو بلغ مداه و لا التقصير أنقص كماله .

١٠- علي حين يقال الإنسان فهو الأنسنة .

١١- علي يتنافس عشاقه على مدحه و لا يجرؤ مخالفوه على قدحه .

١١- علي يباهي الثوار و يسبق التقدميين و يفوق الخبراء .

١٣- علي قالوا عنه : فيه دعابة فرد عليهم الوحي: أقضاكم علي .

١٤- علي إسلام يتجسد و إيمان يتروحن .

١٥- علي أغنى فقير ، أبهى مظلوم ، أسعد جريح .

١٦- علي منهاج النهضة و سبيل الحقيقة و عنوان الحضارة .

١٧- علي نجده عند حكمة القول و نزاهة الفعل و نورانية الضمير .

١٨- علي هو علي لكي لا تكون الفضائل مستحيلة الوقوع .

١٩- علي مع علاه تلميذ محمد .. و نفس الحقيقة المحمدية .

أ - ليس لدي من هذه المتاهة ما أقوله لك سوى الشوق

ب- حتى القبة طال تحجبها متى سطوعها ؟ (شعبان١٤٣٦ هـ).

ج- لم نتعلم حبك من أحد .

د- إمام الفقراء أنا مأمومك .

هـ- مما يخدش الضمير رفض خربة بجوارك؟

و- أيها المرجع الأعلى و مدار الرؤى .

ز- أنت المحيط الإنساني فكيف تتهم بمحرقة ؟

« ما ترك لي الحقُّ من صديق »
احـذروا الاستشـهاد بهذه المقولـة ـ في نزاعاتكم ـ لأنكـم لا تقولون آراءكم إلا لجمـع المؤيديـن مثل تحشـيد الانتخابات .. إنها فقـط مقولة علي عليه السلام .

- إذا لم يكن علي رباً فقد كان ربانياً ، و إذا لم يكن علي إلهاً فقد كان إلهيا . علي هو الإنسان الوحيد الذي عبده التائهون بعد الإسلام .

- علينـا قـراءة خطـاب الإمـام و سـيرة الإمـام مبـاشرة و سـنعرف كيفيـة التعامـل مـع المخالـف بالفطنـة و مـع المحـارب بالحـذر ، بعدهـا يحـق لنـا الفخـر أننـا إماميـون نحمـل إسـلام الإمـام و نهـج الإمامـة في المعتقـد و العاطفـة و الموقـف .

- نحـن مـع الإمام ، عـلى خط الأمـان في القلب و العقل ، صراط الإسـلام المسـدد بالتقـوى لبنـاء الذات الرصينـة ، و بالتعقل لبنـاء كيان محكم .

ـ مـع الإمـام سـنجد الحـل واضحـاً بحكمـة و تجربـة في مواجهـة العدوان ، فهـو يريـد منا المواجهـة بالفطنـة لا الأعصـاب ، و بالإقـدام لا التخاذل .

ـ منهـج نقـد عـلي للخلفاء و الـولاة : نصيحتهم لا التصفيـق لهم ، فإن أمة لا تنصـح قادتهـا تحولهم إلى مسـتبدين ، و هي أمة تـربي قتلتها .

ـ مـن محمدنـا المبـدأ المتجـدد و من عليّنـا الحكمة ومـن حسـيننا التضحية و مـن صادقنـا الوعي .

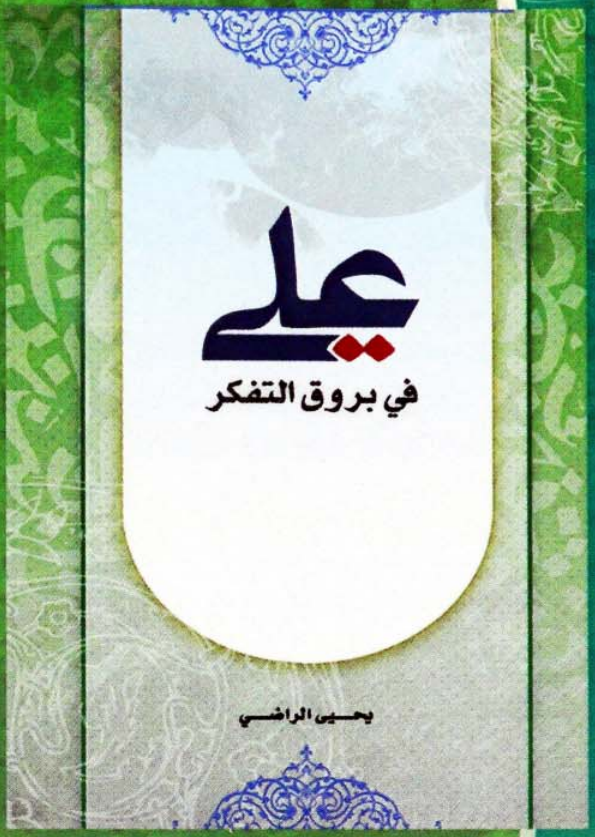

منشورات العطار
ALATTAR PUBLICATION
Alattar_pub@hotmail.com